صورٌ من المُتفَرِّسين
النبيُّ -ﷺ-

١- النبيُّ -ﷺ- أفرسُ الناسِ:

كان رسولُ الله -ﷺ- في مقدِّمَةِ المتفرِّسين

فعن عمرو بن عَبْسَةَ السُلمي – رَضي الله عنه – قال: كَانَ رسول الله – ﷺ – يعرِضُ الخَيْلَ وعنده عُيَيْنَةُ بن بدر الفزاري فقال له رسول اللهِ – ﷺ – : «أنا أعلمُ بالخيلِ منك فقال عُيينَةُ: وأَنَا أعلمُ بالرجالِ مِنك.

فقال رسولُ الله – ﷺ – مَنْ خيرُ الرجالِ

قال: رجالٌ يحملون سيوفَهم على عواتقهم ورماحَهُمْ على مناسِجِ خيولهم من رجال نَجْدٍ، فقال رسولُ الله – ﷺ-: كذَبْتَ، بلْ خيرُ الرجالِ رجالُ اليَمَنِ، والإيمانُ يمانٍ إلى لخمٍ وجُذامَ، ومأكولُ حِمْيَرَ خيرٌ من أكلِها، وحضرموتُ خيرٌ من بني الحارثِ، والله ما أبالي لو هَلَكَ الحارثان جميعًا، لعنَ اللهُ الملوكَ الأربعةَ، جَمَدًا، ومَخُوسًا، وأبضَعةَ، وأختَهم العَمَرَّدةَ، ثم قال: أمرني ربي أن ألعنَ قريشًا مرتين فلعَنْتُهم، وأمرني أن أصلي عليهم فصليتُ عليهم مرَّتين.

ثم قال: لعنَ الله تميمَ بنَ مُرَّةَ خمسًا وبكر بَنَ وائلَ سبعًا ولعنَ اللهُ قبيلتين من بني تميمَ: مقاعسَ وملادسَ، ثم قال: عُصيةٌ عصت اللهَ ورسولَهُ، ثم قال: أسلَمُ وغفارُ ومُزَينَةُ وأحلافُهم من جهينةَ خيرٌ من بني أسدٍ وتميمَ وغطفانَ وهوزانَ عند الله يومَ

القيامة، ثم قال: شرُّ قبيلتين في العربِ نجرانُ وبنو تغلبَ، وأكثرُ القبائلِ في الجنةِ مَذْحَجُ»(١).

٢- صورٌ من تفرُّسِ النبيِّ -ﷺ- في أصحابِه:

عن أبي هُرَيْرَةَ -رضيَ اللهُ عنه- قال: والله الذي لا إلهَ إلا هو إن كنتُ لأعتَمدُ بكبدي على الأرضِ من الجُوْعِ، وإن كنتُ لأشدُّ الحَجَرَ على بطني من الجوعِ، ولقد قعدْتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرَّ أبو بكر، فسألتُهُ عن آيةٍ من كتابِ الله، ما سألْتُهُ إلا ليُشْبعَني، فمرَّ ولم يفعلْ، ثم مرَّ عُمَرُ، فسألتُهُ عن آيةٍ في كتابِ الله، ما سألتُهُ إلا ليُشبعَني، فمرَّ ولم يفعلْ، ثم مرَّ رسولُ الله -ﷺ- فتَبَسَّمَ حين رآني وعرفَ ما في نفسي وما في وَجهي»(٢) ففي القصَّة فوائدُ جَمةَ لعلَّ أهمَّها صدُق فراسةَ النبيِّ -ﷺ-، وذكاؤهُ فيما يراهُ في وجوه أصحابه، وتعهُّدُهُ أياهم دلَّ على ذلك قولُ أبي هريرةَ -رضي اللهُ عنه-: فتبسَّمَ حينَ رآني وعرفَ ما بي.

●●●

(١) (صحيح) أخرجه أحمد في المسند (١٩٤٥)، (١٩٤٦) وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦٠٦)، (٣١٢٧).

(٢) «رواه البخاري» (٢٥٧٦)، و«مسلم» (١٠٧٧).

المتفرسون من الصحابة

الصحابة أعظم الناس فراسة

الفراسة الإيمانية تكون بحسب قوة الإيمان فمن كان أقوى إيمانًا فهو أحد فراسة وأعظم الأمة نصيبًا من هذه الصفة أصحاب النبي -ﷺ- إذا كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا. اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه.

وفيما يأتي ذكر شيء من فراسة بعض الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين فمن ذلك:

١- أبو بكر الصديق -رضى الله عنه-:

١- الصديق أعظم الأمة فراسة -بعد نبيها -ﷺ-.

أبو بكر الصديق خير هذه الأمة بعد نبيها وهو -أيضًا- أعظم الأمة فراسة وبعده عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كما قال ابن القيم -رحمه الله-(١).

٢- تفرس الصديق في رسول الله -ﷺ-:

فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: خطب رسول الله -ﷺ- الناس فقال: «إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا فعجبنا له وقال الناس انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله -ﷺ- عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٣).

ما عنده وهو يقولُ فديناك بآبائنا وأُمهاتنا فكان رسولُ الله -ﷺ- هو المخيَّرَ وكان أبو بكر هو أعلَمنا به»(١).

٣- فِراسةُ الصَّدِّيقِ في عُمَرَ -رضيَ اللهُ عنهُ-:

وعن ابنِ مسعود -رضيَ اللهُ عنهُ- قال: «أفرسُ الناس ثلاثةٌ: العزيزُ في يوسُفَ حين قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١]. وابنةُ شعيبٍ حين قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. وأبو بكرٍ في عُمَرَ -رضي الله عنهما- حين أستخلَفَهُ على المسلمين»(٢).

٤- فِراسةُ الصديقِ أنه سيُرْزَقُ بنتًا:

ومن فراسته -رضيَ اللهُ عنهُ- قولُهُ لعائشَةَ- رضيَ اللهُ عنها- لما حَضَرَتْهُ الوفاةُ يُوصيها: «إنما هما أخواك وأختاك»(٣).

قالت: فقلتُ: فإن هي أمُّ عبد الله- تعني: أسماءَ؛ يعني أخواي عرفتُهما، وأختاي مالي إلا أختٌ واحدةٌ أسماءُ فمَنْ الأختُ الأخرى؟

فقال: إنه ألقيَ في نفسي أنَّ في بَطْنِ بنتِ خارجةَ جاريةً (وبنتُ خارجةَ هي زوجةُ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ) وهكذا حصلَ وصار لعائشَةَ أختٌ أخرى.

---

(١) «رواه البخاري (٣٩٠٤)، و«مسلم» (٢٣٨٢)، والترمذي» (٣٦٦٠).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧٦) برقم (٣٣٢) ووافق الذهبي في «صحته» وابن أبي شيبه في «مصنفه» (٧/ ٤٣٥) برقم (٣٧٥٨)، والطبراني في الكبير (٨٨٢٩).

(٣) قالَهُ -رضيَ اللهُ عنهُ- لابنته عائشةَ لما أبْطَلَ نِحْلَتَهَ لها عشرين وَسَقًا أخرجَهُ مالكٌ في «الموطَّأ» (٢/ ٤٨٣-٤٨٤).

وإسنادُهُ (صحيحٌ) انظر «الاستذكار» (٢٢/ ٢٩٣-٢٩٥).

٢- عمرُ بنُ الخطابِ -رضيَ اللهُ عنهُ-

١- عمرُ المحدَّثُ المُلْهَمُ.

كان -رضي اللهُ عنهُ- مُلْهَمًا ومُحدَّثًا يجري الحقُّ على لسانه مصداقًا لما أخبَرَ به -ﷺ- فعن أبي هريرةَ -رضي اللهُ عنهُ- قال: قالَ رسولُ الله -ﷺ-: «لقد كان فيما قبلكم من الأممِ ناسٌ مُحَدَّثون، فإن يَكُ في أمَّتي أحدٌ فإنه عُمَرُ» وفي رواية عنهُ: «لقد كان فيمَنْ كان قبلكم من بني إسرائيلَ رجالٌ يُكَلَّمون من غيرِ أن يكونوا أنبياءَ، فإن يكنْ في أمتي منهم أَحَدٌ فعُمَرُ»(١).

وأخرجَ الترمذيُّ في «جامعه»(٢) عن ابنِ عُمَرَ -رضيَ اللهُ عنهما- أن رسولَ الله -ﷺ- قال: «إنَّ الله جعلَ الحَقَّ على لسانِ عُمَرَ وقلبِه».

٢- عُمَر أعظمُ الأمَّةِ فِراسةً بعد الصديقِ -رضي الله عنهما-:

قال ابنُ القيمِ -رحمهُ اللهُ-: «وكان الصديقُ -رضي اللهُ عنه- أعظمَ هذه الأمة فِراسةً وبَعْدَ عمرُ بنُ الخطاب -رضي اللهُ عنه- ووقائعُ فِراسته مشهورةٌ؛ فإنه ما قالَ لشيءٍ «أظنُّهُ كذا» إلا كان كما قال، ويكفي في فِراستِه موافقتُهُ رَبَّهُ في المواضعِ المعروفَة»(٣).

٣- موافقةُ القرآنِ لعُمَرَ -رضي اللهُ عنه- في بعضِ المواضعِ:

قال ابنُ عمرَ -رضيَ اللهُ عنهما- ما نزلَ بالناسِ أمرٌ قَطُّ، فقالوا فيه، وقال فيه عُمَرُ أمر قالَ ابنُ الخطابِ فيه -شكَّ خارجَةُ- إلا نَزَلَ فيه القرآنُ على نحوِ قول عُمَرُ»(٤).

---

(١) «رواه البخاري» (٣٦٨٩).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٣٦).

(٣) مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٣).

(٤) (صحيح) رواه الترمذي (٢٨٠) وصححه الألباني في «صحيح الترمذي (٢٠٤).

قال ابنُ القيم -رحمهُ اللهُ- . . . فمن ذلك أنَّهُ قال: «يا رسولَ الله لو اتخذْتَ من مقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى فنزلَتْ ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقال يا رسولَ الله لو أمرْتَ نساءَك أن يحتجبْنَ فنزلت آيةُ الحجاب، واجتمع نساءُ النبيِّ -ﷺ- في الغَيْرة عليه فقال لهنَّ عُمَرُ: «عسى ربُّهُ أن طلقكن أن يُبْدِلَهُ أزواجًا خيرًا منكُنَّ فنزلت كذلك.

وشاورَهُ رسولُ الله -ﷺ- في أسارى بدرٍ فأشارَ بقتلهم ونزلَ القرآنُ بموافقته»(١).

٣- عمرُ من أفرسِ الناسِ بالرجالِ:

كان -رضيَ الله عنهُ- إذا حدَّثَهُ الرجُلُ بالحديث فيكذبُ فيه الكلمةَ والكلمتين، فيقولُ عُمَرُ: (حبسْ هذه؛ حبسْ هذه، فيقولُ الرجلُ: واللهِ كُلُّ ما حدثْتُك به حَقٌّ غيرَ ما أمرتني بحبْسه(٢).

وعن ابنِ عُمَرَ -رضيَ اللهُ عنهما- قال: بينما عُمَرُ -رضيَ اللهُ عنهُ- جالسٌ إذْ رأى رجلاً فقال: قد كنتُ مَرَّةً ذا فراسَة وليس لي رأيٌ إن لم يكنْ هذا الرجُلُ ينظرُ ويقولُ في الكهانة شيئًا، ادعوه لي فدعَوهُ فقال: هل كنتَ تنظرُ في الكهانة شيئًا؟! قال: نعم»(٣) وروى الطبري أنَّ عُمَرَ -رضي اللهُ عنهُ- لما استعرضَ الجيوشَ للجهاد سنةَ ١٤ مرَّتْ أمامَهُ قبائلُ السكون اليمنيةُ مع أوَّل كندةَ يتقدمُهم حصينُ بنُ نُمير السكوني ومعاويةُ بن حديجٍ أحدُ الصحابة الذين فتحوا مصرَ ثم كان أحدَ ولاتها، فاعترضَهم عُمَرُ فإذا فيهم فتيةٌ ولم سباط، فأعرضَ عنهم ثم أعرضَ ثم أعرضَ،

(١) «الطرق الحكيمة (٣٥).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ١٣٨).

(٣) «الأذكياء» لابن الجوزي (١٠)، و«الطرق الحكمية» (٤١).

حتَى قيل لهُ مالكَ ولهؤلاء؟ قال: إني عنهم لمتردِّدٌ، وما مرَّ بي قومٌ من العرب أكرهُ إليَّ منهم. فكان منهم سودانُ بنُ حمرانَ، وخالدُ بنُ مَلجمٍ وكلاهما من البُغَاة على عثمانَ»(١).

٤- المغيرةُ بن شعبةَ -رضي الله عنه-:

ومن ذلك: فراسةُ المغيرة بن شعبةَ، وقد استعمله عُمَرُ على البحرين. فكرهَهُ أهلُها فعزلَهُ عُمَرُ، فخافوا أن يَرُدَّهُ عليهم. فقال دهقانُهم: إن فعلتم ما آمركم به لم يَرُدَّهُ علينا.

قالوا: مُرْنا بأمركَ. قال: تجمعون مائةَ ألف درْهَم، حتَّى أذهبَ بها إلى عُمَرَ، وأقولُ: إن المُغيرةَ اختان هذا فدفَعَهُ إليَّ. فدعا عُمَرُ المغيرةَ، فقال: ما يقولُ هذا؟ قال: كَذَبَ، أصلحَك اللهُ، إنما هي مائتا ألف. فقال: ما حملَكَ على ذلك؟ قال: العيالُ والحاجةُ. قال عُمَرُ للدَّهقان: ما تقولُ؟

فقال: لا والله، لأصدُقَنَّك. والله ما دفعَ إليَّ قليلاً ولا كثيراً.

ولكن كرهناه، وخَشينا أن تَرُدَّهُ علينا.

فقال عُمَرُ للمغيرة: ما حملَك على هذا؟ قال: إن الخبيثَ كذب عليَّ فأردتُ أن أخزيَهُ(٢).

فراسةُ المغيرة في النساء

خطبَ المغيرةُ بنُ شعبةَ وفتى من العرب امرأةً، وكان الفتى جميلاً فأرسلت إليهما المرأةُ: لابُدَّ أن أراكما، وأسمعَ كلامكما، فاحضرا أن شئْتما. فأجْلَسَتْهما بحيثُ

(١) «الطبري (٤/ ٨٦)، و«العواصم من القواصم» لابن العربي (١٢١).
(٢) «الطرق الحكمية» (٤٣).

تراهما. فعلم المغيرةُ أنها تؤثرُ عليه الفتى، فأقبل عليه، فقال: لقد أوتيتَ حُسْنًا وجمالاً وبيانًا، فهل عندك سوى ذلك؟

قال: نعم. فعدَّدَ عليه محاسنَهُ، ثم سكتَ. فقال المغيرةُ: فكيف حسابُكَ؟ فقال: لا يَسقُطُ عليَّ منه شيءٌ، وإني لأستدركُ منه أقَلَّ من الخردلة.

فقال له المغيرةُ: لكني أضعُ البَذْرةَ في زوايةِ البيت، فينفقُها أهلُ بيتي على ما يريدون، فما أعلمُ بنفادها حتَّى يسألوني غَيْرَها.

فقالت المرأةُ: والله لهذا الشيخُ الذي لا يحاسبني أحب إليَّ من الذي يُحْصي عليَّ أدنى من الخردلة فتزوَّجَتْ المغيرةَ»(١).

٥- عمرو بنُ العاص -رضي اللهُ عنهُ-:

ومنها فراسةُ عمرو بن العاص لما حاصرَ غَزَّةَ فبعثَ إليه صاحبُها: أن أرْسِلْ إليَّ رجلاً من أصحابك أكَلِّمْهُ.

ففكَّر عمرو بنُ العاص، وقال: ما لهذا الرجُل غيري فخرجَ حتَّى دخلَ عليه، فكَلَّمَهُ كلامًا لم يسمعْ مثلَهُ قَطُّ. فقال لَهُ: حدِّثني، هل أحَدٌ من أصحابك مثلُك؟

فقال: لا تَسَلْ، مِنْ هواني عندَهم بعثوني إليك، وعرَّضُوني لما عَرَّضوني، ولا يدرون ما يُصنعُ بي.

فأمر لَهُ بجاريةٍ وكَسوةٍ. وبعثَ إلى البوابِ، إذا مَرَّ بكَ فاضربْ عُنُقَهُ، وخُذْ ما معهُ.

فمرَّ برجلٍ من نصارى غَسَّانَ فعرفَهُ. فقال: يا عمرو قد أحسنْتَ الدخولَ فأحسِنِ الخروجَ. فرجَعَ، فقال له الملكُ: ما رَدَّكَ إلينا؟

(١) «المرجع السابق» (٤٤).

قال: نظرتُ فيما أعطيتني فلم أجدْ ذلك يَسَعُ من معي من بني عمي فأردْتُ الخروجَ فآتيكَ بعَشَرة منهم تعطيهم هذه العطيَّةَ فيكونُ معروفُكَ عند عَشَرَةِ رجالٍ خيراً من أن يكونَ عندَ واحد.

فقال: صدقت عَجِّلْ بهم.

وبعث إلى البواب: خَلِّ سبيلَهُ.

فخرجَ عمرو وهو يلتفت، حتَّى إذا أمنَ قال: لا عدتُ لمثْلِها.

فلما كان بعدُ رآه الملكُ، فقال: أنت هو؟

قال: نعم، على ما كان من غَدْرِك[1].

●●●

(١) «الطرق الحكمية» (٤٥).

فراسةُ العلماءُ

١- إياسُ بنُ معاويةَ -رحمه الله-:

قال نُعَيمُ بنُ حَمَّادَ عن إبراهيمَ بنِ الرزوق البصريِّ: كُنَّا عند إياسَ ابن معاويةَ، قبل أن يُستقضى، وكنا نكتبُ عنه الفراسةَ، كما نكتبُ عن المحدِّث الحديثَ، إذ جاء رجُلٌ، فجلسَ على دكَّانٍ مرتفعٍ بالمِزْبَد. فجعلَ يترصَّدُ الطريقَ.

فبينما هو كذلك إذ نزلَ فاستقبلَ رجلاً، فنظر في وجهه، ثم رَجَعَ إلى موضعه، فقال إياسُ: قولوا في هذا الرجلِ. قالوا: ما تقولُ؟ رجلٌ طالبُ حاجة. فقال: هو معلِّمُ صبيان، قد أبَقَ له غلامٌ أعورُ فقام إليه بعضُنا فسألهُ عن حاجتهِ؟ فقال: هو غلامٌ لي آبقٌ. قالوا: وما صنْعَتُك؟ قال: أعلِّمُ الصبيانَ. قلنا لإياسَ: كيف علمتَ ذلك؟ قال: رأيتُه جاءَ، فجعل يطلبُ موضعًا يجلسُ فيه، فنظر إلى أرفَعِ شيءٍ يقدرُ عليه فجلسَ عليه. فنظرتُ في قدره فإذا قدرُهُ ليس قدْرَ الملوك. فنظرتُ فيمَنْ اعتادَ في جلوسه جلوسَ الملوك، فلم أجدْهم إلا المعلمين، فعلمتُ أنه معلِّمُ صبيان. فقلنا كيف علمتَ أنه أبَقَ له غلامٌ؟ قال: إني رأيتُه يترصَّدُ الطريقَ، ينظر في وجوهِ الناسِ قلنا: كيف علمت أنه أعورُ؟ قال: بينما هو كذلك إذ نزلَ فاستقبلَ رجلاً قد ذهبَ إحدى عينيه، فعلمتُ أنه اشتبهَ عليه بغلامه.

وقال الحارثُ بنُ مُرَّةَ: نظر إياسُ بنُ معاويةَ إلى رجلٍ. فقال: هذا غريبٌ. وهو من أهلِ واسطَ» وهو معلِّمٌ. وهو يطلبُ عبدًا له أبَقَ. فوجدوا الأمرَ كما قال. فسألوهُ؟ فقال: رأيتُهُ يمشي ويلتفتُ. فعلمتُ أنه غريبٌ ورأيتُهُ وعلى ثوبه حمرةُ تربة واسطَ فعلمتُ أنه من أهلها ورأيتُهُ يمرُّ بالصبيان فيسلِّمُ عليهم ولا يسلِّمُ على

الرجال. فعلمتُ أنه معلِّمٌ. ورأيتُه إذا مرَّ بذي هيئةٍ لم يلتفتْ إليه، وإذا مرَّ بذي أسماكٍ تأمَّلَهُ، فعلمتُ أنه يطلبُ آبقًا.

وقال هلالُ بن العَلاءِ الرقيُّ عن القاسمِ بن منصورٍ عن عمرِو بنِ بكيرٍ:

مرَّ إياسُ بنُ معاويةَ، فسمعَ قراءةً من عليَّةٍ، فقال: هذه قراءةُ امرأةٍ حاملٍ بغلامٍ، فسُئلَ: كيف عرفتَ ذلك؟ فقال: سمعتُ بصَوتها ونفسها مخالطةً فعلمتُ أنها حاملٌ. وسمعتُ صَحلاً، فعلمتُ أن الحملَ غلامٌ.

ومرَّ بعد ذلك بكُتَّابٍ فيه صبيانٌ. فنظر إلى صبيٍّ منهم.

فقال: هذا ابنُ تلك المرأة. فكان كما قال[1].

٢- الشافعيُّ -رحمهُ اللهُ-:

كان الشافعيُّ -رحمهُ اللهُ- من أفرسِ الناسِ وكان قد قرأ كُتُبَ الفِراسةِ[2] وله فيها اليَدُ الطُّولى كما يقولُ ابنُ القيمِ -رحمهُ اللهُ-[3].

---

(١) «الطرق الحكمية» (٣٩-٤٠).

(٢) قد تقدستْ حكايةُ الشافعيِّ مع الرجلِ الأزرقِ في باب فراسة العيون فصلُ «الأزرق» نجدِّدْ بها عهدًا.

(٣) قاله ابنُ القيمِ في كتابه القيِّم «مفتاحُ دارِ السَعادة» (٢/ ٢٢١) وقال عَقِبَهُ فحكَم في هذه القضية وأمثالها بالفراسة فأصابَ الحُكمَ فظن الناقلُ أن الحُكمَ كان يستندُ إلى قضايا النجوم وأحكامها وقدَ برَّأ اللهُ من هو دونَ الشافعيِّ من ذلك الهذيان فكيف بمثل الشافعي -رحمه الله- في عقله وعلمه ومعرفته حتى يُروَّجَ عليه هذيانُ المنجمين الذي لا يُروَّجُ إلا على جاهلٍ ضعيف العقل» وقال -رحمهُ اللهُ- في (٢/ ٢١٩): «وأما ما نُسبَ إلى الشافعيِّ من حكمه بالنجوم على عُمْرِ ذلك المولود فلقد نُسبَ الشافعيُّ إلى هذا العلم وحكَمه فيه بأحكامٍ ليَعْجَزُ عَن مثلها أئمةُ المنجمين، وأظنُّ الذي غرَّهُ في ذلك أبو عبد الله الحاكمُ؛ فإنَّهُ صنَّفَ في مناقب الشافعيِّ كتابًا كبيرًا وذكرَ علومَهُ في أبواب وقال: البابُ الرابعُ والعشرون في معرفته تسييرَ الكواكب من علم النجوم وذكر فيه حكاياتٍ عن الشافعيِّ تدلُّ على تصحيحه لأحكامِ النجوم وكان هذا الكتابُ وقع للرازيِّ فتصرَّفَ فيه وزادَ ونقَّصَ وصنَّفَ مناقبَ الشافعيِّ من هذا الكتاب على أن في كتاب الحاكم من الفوائد والآثار ما لم يُلمَّ به الرازيُّ والذي غرَّ الحاكمَ من هذه الحكايات تساهُلُهُ في إسنادها ونحن نبيِّنُها ونبيِّنُ حالَها ليتبيَّنَ أن نسبةَ ذلك إلى الشافعيِّ كذبٌ عليه...» اهـ.

وقال -رحمهُ اللهُ- بعد أن ذكرَ حكايات الشافعيِّ مع الرَّجُلِ الأزرق: - وقال الربيعُ: اشتريتُ للشافعيِّ طِيبًا بدينارٍ فقال لي ممَّنْ اشتريتَ فقلتُ من ذلك الأشقرِ الأزرقِ!

فقال: أشقرُ أزرقُ أذهب فَرُدَّهُ.

وقال الربيعُ مَرَّ أخي في صحن الجامعِ تدعاني الشافعيُّ فقال لي يا ربيعُ أنظرْ إلى الذي يمشي هذا أخوك.

قلتُ: نعم -أصلحَكَ اللهُ- قال: أذهبْ ولم يكنْ رآه قَبْلَ ذلك.

قال قُتَيبةُ بنُ سعيد رأيتُ محمدَ بن الحسنِ والشافعيَّ قاعدين بفناءِ الكعبةِ لمرَّ رَجُلٌ فقال أحدُهما لصاحبه: تعالَ نركز على هذا المارِّ أيَّ حرفة معه.

فقال أحدُهما: هذا خياطٌ، وقال الآخر هذا نجارٌ. فبعثا إليه فسألاهُ فقال: كنتُ خياطًا واليومَ أنْجُرُ أو كنتُ نجارًا واليومَ أخيطُ.

وقال الربيعُ: سمعتُ الشافعيَّ وقدمَ عليه رَجُلٌ من أهلِ صنعاءَ فلما رآه.

قال له من أهلِ صنعاءَ؟

قال: نعم. قال: فحدادٌ أنت؟ قال: نعم.

وقال: كنتُ عند الشافعيِّ إذ أتاه رجلٌ فقال له الشافعيُّ: أنَسَّاجٌ أنت؟

قال: عندي أُجَراءُ.

وقال: كُنَّا عند الشافعيِ إذا مَرَّ به رَجُلٌ فقال الشافعيُّ: «لا يخلو هذا أن يكونَ حائكًا أو نجارًا.

قال: فدعوناه، فقال: ما صَنْعَتُك؟

فقال: نجارٌ.

فقلنا: أوَ غَيْرُ ذلك؟

قال: عندي غلمانٌ يعملون الثيابَ.

وقال حرملةُ: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: احذروا من كُلِّ ذي عاهةٍ في بدنه؛ فإنَّهُ شيطانٌ قال حرملةُ قلتُ: من أولئك؟

قال: الأعرجُ، والأحولُ[١]، والأشَلُّ[٢] وغيرُه.

وقال: اشتهى الشافعيُّ يومًا عنبًا أبيضَ فأمرني فاشتريتُ له منه بدرهمٍ فلما رآه استجادَ فقال لي: يا أبا محمَّد ممَّن اشتريتَ هذا فسميتُ له البائعَ فنحَّى الطبقَ من بين يديه وقال: رُدَّهُ عليه واشترِ لي من غيره.

فقلتُ له وما شأنُهُ فقال: ألم أنْهَكَ أن تصحبَ الأزرقَ الأشْقَرَ[٣] فإنه لا يُنْجِبُ[٤] فكيف آكلُ من شيءٍ اشتريتَه لي ممَّن أنهى عن صحبته؟ قال الربيعُ: فرددْتُ العنبَ على البائعِ واعتذرْتُ إليه بكلامٍ حَسَنٍ واشتريتُ له عنبًا من غيره.

وقال حرملةُ سمعتُ الشافعيَّ يقول: احذروا الأعورَ والأحولَ والأعرجَ والأحدبَ[٥] والأشقرَ، والكوسجَ[٦] وكلَّ من به عاهةٌ في بدنه وكُلَّ ناقصِ الخَلْقِ فاحذروه فإنه صاحبُ لؤمٍ ومعاملتُهُ حسرةٌ.

وقال مرةً أخرى فإنهم أصحابُ خبٍ[٧].

وقال الربيعُ: دخلنا على الشافعيِّ عند وفاته أنا والبويطيُّ والمزنيُّ ومحمدُ بنُ عبد

(١) الأحول: من أحال عينَهُ وحوَّلها صيَّرها حولاً أي ذاتَ حَوَل.

(٢) الأشلُّ: هو ما شُلت إحدى يديه.

(٣) الأشقرُ: لون الأشقر هي في الإنسان حمرةٌ صافيةٌ وبشرتُهُ مائلةٌ إلى البياض.

(٤) لا ينجبُ: لا يختار.

(٥) الأحدبُ: من الحَدَب وهو خروجُ الظهر ودخولُ الصدر والبَطْن.

(٦) الكوسجُ: الكوسجُ هو الذي لا لحيةَ له أصلاً أو الخفيفُ العارضَ ولم يبلغ حال الكوسج أو لحيتَهُ في الذَّقن أو بالعارضين شيءٌ.

(٧) خب: الخَب هو الخداع والخبث.

الله بن عبد الحكَم. قال فنظرَ إلينا الشافعيُّ ساعةً فأطالَ ثم التفتَ فقال: أما أنت يا أبا يعقوبَ فستموتُ في حديد يعني البويطيَّ وأما أنت يا مزنيُّ فسيكونُ لك بمصرَ هناتٌ وهناتٌ[١] ولتدركَنَّ زمانًا تكون أقيسَ أهل ذلك الزمان، وأما أنت يا محمد فسترجعُ إلى مذهب أبيك، وأما أنت يا ربيعُ فأنت أنفعُهم لي في نشرِ الكتبِ. قم يا أبا يعقوبَ فتسلَّم الحَلَقَةَ.

قال الربيعُ: فكان كما قال.

وقال الربيعُ: ما رأيتُ أفطنَ من الشافعيِّ لقد سمىَّ رجالاً ممن يصحَبُهُ فوصف كلَّ واحد منهم بصفة ما أخطأ فيها فذكر المزنيَّ والبويطيَّ وفلانًا فقال ليفعَلَنَّ فلانٌ كذاوفلانٌ كذا وليصحبَنَّ فلانٌ السلطانَ وليُقَلَّدَنَّ القضاءَ وقال لهم يومًا وقد اجتمعوا ما فيكم أنفعُ من هذا وأما إليَّ؛ لأنه أمثلُكُمْ بأخيه وذكر صفات غيرَ هذه قال: فلما مات الشافعيُّ صار كُلٌّ منهم إلى ما ذكرَ فيه ما أخطأ في شيءٍ من ذلك[٢].

٣- شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ -رحمهُ اللهُ-:

قال تلميذُهُ ابنُ القَيِّم -رحمهُ اللهُ-:

«لقد شاهدْتُ من فراسة شيخ الإسلام ابن تيميةَ -رحمهُ اللهُ- أموراً عجيبةً، وما لم أشاهدْهُ منها أعظمُ وأعظمُ، ووقائعُ فراسته تستدعي سِفْرًا ضَخْمًا.

أخبرَ أصحابَهُ بدخول التتار الشَّامَ سنةَ تسعٍ وتسعين وستِّمائة، وأن جيوشَ المسلمين تُكْسَرُ، وأن دمَشْقَ لا يكونُ بها قَتْلٌ عامًّا ولا سبيٌ عامًا، وأن لبَ الجيشِ وحدتَهُ في الأموال. وهذا قبلَ أن يَهُمَّ التتارُ بالحركة.

ثم أخبرُ الناسَ والأمراءَ سنةَ اثنتين وسبعمائة لما تحرَّكَ التتارُ وقصدوا الشامَ أن

(١) هنات: أي خصال سوء.

(٢) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٢٢-٢٢٣).

الدائرةَ والهزيمةَ عليهم، وأن الظَّفَرَ والنَّصْرَ للمسلمين، وأقسمَ علي ذلك أكثرَ من سبعين يمينًا، فيقالُ لَهُ: قل إنْ شاءَ اللهُ، فيقولُ: إن شاءَ اللهُ تحقيقًا لا تعليقًا.

وسمعتُهُ يقولُ ذلك، قال: فلمَّا أكثروا عليَّ، قلتُ: لا تُكثروا، كَتَبَ الله في اللوحِ المحفوظ: أنَّهم مهزومون في هذه الكَرَّة وأنَّ النَّصْرَ لجيوشِ الإسلام، قال: وأطعمتُ بعضَ الأمراء والعسكر حلاوةَ النصر قبلَ خروجهم إلى لقاء العدُّو وكانت فراستُهُ الجزئيةُ في خلال هاتين الواقعتين مثلَ المطَر.

ولما طُلبَ إلى الديار المصريَّة، وأُريْدُ قتلُهُ -بعد ما أُنْضجَتْ له القَدورُ، وقُلِّبتْ له الأمورُ: اجتمع أصحابُهُ لوداعه، وقالوا: قد تواترت الكتبُ بأن القومَ عاملون على قتلك: والله لا يَصلُون إلى ذلكَ أبدًا، قالوا: أفَتُحْبَسُ قال: نعم، ويطولُ حَبسي، ثم أخرجُ وأتكلَّمُ بالسُّنَّة على رءوسِ الناس، سمعتُه يقولُ ذلك.

ولنا تولَّى عدوُّهُ الملقبُ بالجاشنكير الملك أخبروهُ بذلك، وقالوا الآن بلغ مرادَهُ منك، فسجدَ لله شاكرًا وأطال، فقيلَ له: ما سببُ هذه السجْدة؟

فقال: هذا بدايةُ ذُلِّه ومفارقةُ عزِّه من الآن، وقُرْبُ زوال أمره، فقيلَ: متى هذا؟

فقال: لا تُربَطُ خيولُ الجُنْد على القرط حتَّى تُغلبَ دولتُهُ؛ فوقعَ الأمرُ مثلَ ما أخبرَ به، سمعتُ ذلك منهُ.

وقال مَرَّةً: يدخلُ عليَّ أصحابي وغيرُهم، فأرى في وجوههم وأعينهم أمورًا لا أذكرُها لهم.

فقلتُ له -أو غيري- لو أخبرتهم؟

فقال: أتريدون أن أكونَ معرِّفًا كمعرِّف الولاة؟

وقلتُ له يومًا: لوعا ملْتَنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح.

فقال: لا تصبرون معي على ذلك جمعةً، أو قال شهرًا.

وأخبرني غَيْرَ مَرَّة بأمور باطنة تَخْتَصُّ بي مما عزمْتُ عليه، ولم ينطقْ به لساني وأخبرني ببعض حوادثَ كبارٍ تجري في المستقبلِ، ولم يعيِّن أوقاتَها، وقد رأيتُ بعضَها وأنا أنتظرُ بقيَّتَها.

وما شاهده كبارُ أصحابه من ذلك أضعافُ أضعافُ ما شهدتُهُ»(١).

٤- عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ باز -رحمهُ اللهُ-:

كان الشيخُ عبدُ العزيز -يرحمهُ اللهُ ولا نزكِّي على الله أحدًا -صاحبَ بصيرة نافذة، وفراسَتُهُ حادَّةٌ، يعرفُ ذلك جيدًا من عاشرَهُ وخالطَهُ، وأخذ العلمَ على يديه. ومما يدلُّ على فراسَته:

أنه يعرفُ الرِّجالَ وينزلُهم منازلَهم، فيعرفُ الجادَّ منهم في هدفه ومقصده من الدُّعاة وطلبة العلم، فيكرمُهم أشدَّ الإكرام، ويقدِّمُهم على مَنْ سواهم، ويخصُّهم بمزيد من التَّقدير، ويسألُ عنهم وعن أحوالهم دائمًا، وله فراسةٌ في معرفة رؤساء القبائل، والتَّفريق بين صالحهم وطالحهم، وله فراسَةٌ -أيضًا- في ما يُعرَضُ عليه من المسائل العويصَة، والمشكلات العلميَّة، فتجدُهُ فيها متأمِّلاً متمقِّنًا لها، تُقْرأُ عليه عدَّةَ مرَّات حتَّى يفُكَّ عقدتَها، ويَحُلَّ مشكلَها، وله فراسَةٌ -أيضًا- في ما يتعلَّقُ بالإجابة عن أسئلة المستفتين فهم -دائمًا- يرى الإيجازَ ووضوحَ العبارة، ووصولَ المقصَد، إن كان المستفتي عاميًّا من أهل البادية، وإن كان المستفتي طالبَ علم حريصٍ على التَّرْجيح في المسألة، أطالَ النَّفَسَ في جوابه مع التعليلات وذكْر أقوال أهلِ العلمِ وتقديم الأرجحِ منها، وبيانِ الصوابِ بعباراتٍ جامعةٍ مانعة»(٢).

●●●

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٨-٣٧٠).

(٢) «مسيرة عطاء» عن الموقع الرسمي للعلامة ابن باز -رحمه الله-.